

هشام علي بن علي

كاتب، نائب رئيس اتحاد الأدباء والكتاب اليمانيين (سابقاً)

صنعاء، صحفة الثورة، الملحق الثقافي، 28/7/1995

## سلطان ناجي: التاريخ الذي أثقل كاهلي

المؤرخ اليمن سلطان ناجي إسم بارز خلد إلى الصمت، صمت الكتابة، صمت الشهادة التاريخية قبل أن يدخل في صمت أبدى.

الذين عرفوا سلطان ناجي يستطيعون أن يتذكروا كم كان نشيطاً و فاعلاً . فلقد كان من أوائل الطلبة اليمانيين الذين ذهبوا للدراسة في الجامعة الأمريكية في بيروت، حيث درس التاريخ لإحساسه بأهمية هذا العلم و الحاجة إليه لا سيما و اليمن تبحث عن موقع في التاريخ .

و حين عاد إلى عدن في أواخر الخمسينات، أنشأ مع مجموعة من الخريجين الجامعيين مجلة "دراسات" محاولين بذلك الإسهام في الحياة الثقافية . و عند تأسيس اتحاد الأدباء و الكتاب اليمانيين ، كان من أوائل الأدباء المؤسسين للإتحاد . و لدى إنشاء كلية التربية العليا في عدن، كان من أوائل المساهمين في هذه الكلية التي أصبحت نواة لجامعة عدن .

من هذا المسار نستطيع إكتشاف شخصية سلطان ناجي ، فمسار حياته يكشف بحثه المتعدد عن دور، لا غرابة في ذلك ، فأستاذ التاريخ الذي يقضي الأيام و الليل يقلب صفحات التاريخ يعرف تماماً أن من يدخلون كتاب التاريخ هم الذين يحاولون نقش أسمائهم على الجدران و فوق ألواح الخشب !

ربط سلطان ناجي عمله التاريخي و الفكري في محورين :

• تاريخ مدينة عدن

• تاريخ اليمن بمنظور وحدوي شامل

و قد مثل المحور الأول جانباً من نشاطه و إنتاجه الفكري. ذلك أنه قام بدراسة تاريخ مدينة عدن بشكل شمولي، التاريخ الحديث لهذه المدينة الذي يبدأ مع بدايات الاحتلال البريطاني لعدن، و قد قام بترجمة عدد من الكتب و الدراسات الإنجليزية التي نشرت عن عدن، كما درس التطور الإداري للمدينة، و يعتبر عمله هذا أساساً لدراسة كاملة عن عدن تحتاج إلى عملية تجميع ليضمها كتاب واحد، ذلك أن سلطان ناجي نشر مواد هذا المحور على مدى فترة زمنية طويلة و في عدد من الصحف و المجلات الأمر الذي أفقد هذه الدراسة أبعادها الشمولية التي كان سلطان ناجي يضعها في منهجه الخاص بكتابة تاريخ مدينة عدن ، و لكن الوقت لم يسعفه لجمعها في كتاب واحد و إكمال فقراتها الناقصة.

و بالمناسبة تظهر الحاجة الماسة لدراسة تاريخ مدينة عدن و تطورها الاجتماعي و الإداري و السياسي و الثقافي. فهذه المدينة بما عرفته من إثنين تاريخي فرضته حقيقة كونها مستعمرة بريطانية، شهدت كافة سلبية المجتمعات الكولونيالية، و رأت أيضاً ظواهر التحدى التي يفرضها

التطور المتفاوت بين المركز والأطراف على المستويات المتعددة من الاقتصاد إلى الثقافة، كما شهدت عملية تهجين إجتماعي و ثقافي فرضه الإستعمار من جهة و موقع مدينة عدن كميناء مهم في طريق الملاحة العالمية، كل هذه عوامل جعلت دراسة التطور التاريخي للمدينة مسألة ملحة و هو ما تنبه له الأستاذ سلطان ناجي في كتاباته التاريخية .

إلا أن ما ينبغي التأكيد عليه هو أن هذا الاهتمام بتاريخ مدينة عدن لم يكن يحمل أي إحساس بالفصل التاريخي عن تاريخ اليمن العام بل على العكس، لقد كان تاريخ المدينة يدرس ضمن إطاره العام و هو تاريخ اليمن ككل ، و هذا ما نبه إليه سلطان ناجي في مقدمة كتابه "التاريخ العسكري لليمن" حيث يقول ( .. و ثمة خاصة أخرى من خصائص هذا الكتاب و هي أني حاولت، بل بذلت أقصى الجهد لتأليفه تحت منظور وحدوي يشمل أرض اليمن الطبيعية عامّة و لا يقتصر على يمن من عديد من "اليمنات" صنعتها في الماضي أنظمة حكم أجنبية و أشكال سلطات أسرية بحيث كنا نقرأ تواريخ لعدة يمنات و ليس ليمن واحد ..).

و بمناسبة ذكر كتاب سلطان ناجي "التاريخ العسكري لليمن" الذي يعد أول كتاب يؤرخ للمؤسسة العسكرية في اليمن ، ينبغي الإشارة إلى أن الكتاب يقدم تاريخ اليمن خلال الفترة 1839م - 1967م ، و كما يلاحظ القارئ فإن هذه الفترة هي فترة الاحتلال البريطاني لجزء من اليمن، و هي فترة التغيرات الكبرى في تاريخ اليمن الحديث و المعاصر. فالوجود البريطاني في جنوب البلاد كان له تأثير في عموم اليمن، حيث أن احتلال الجزيرة العربية و القرن الأفريقي، ولئن بقيت موانئ يمنية مهمة خارج السيطرة الإستعمارية، فإن ذلك كان ناتجاً عن تنازع المصالح الإستعمارية في هذا الطريق المائي المهم الذي عرف في الدراسات الإستراتيجية بطريق الهند، و قد ظهرت الموانئ اليمنية على الخرائط الإستعمارية كموقع إستراتيجية، و أستطاعت بريطانيا في وقت مبكر السيطرة على عدن و بالتالي السيطرة على مجمل طريق الهند، خاصة بعد سيطرتها على مصر و قناة السويس .

و قد قام الأستاذ سلطان ناجي بدراسة تاريخ اليمن في هذه الفترة من هذا المنظور ، حيث رأى أن الإستعمار لم يكن إحتلال الأرض فقط، و لكنه كان عملية أكثر اتساعاً، مصالح و خطوط تجارية و مناطق نفوذ و غير ذلك، و كان لابد من دراسة اليمن في الفترة الإستعمارية دراسة شاملة .

النقطة الأخرى التي ينبغي التأكيد عليها ، و هي شمولية الكتابة التاريخية لهذه الفترة و إن كان المبحث الرئيسي يتعلق بتاريخ المؤسسة العسكرية، و هو بهذا العمل يذكرنا بالكتاب المهم للمفكر المصري أنور عبد الملك الذي وضع كتاباً تحت عنوان " مصر مجتمع جديد بينيه العسكريون " خلال الفترة الأولى من ثورة يوليو ، و قد كان كتاباً شاملاً لتاريخ مصر الحديث و المعاصر ،تناول التغيرات السياسية و الإقتصادية و الإجتماعية و الثقافية من خلال الحديث عن علاقة الجيش بالسلطة في مصر . و قد كان سلطان ناجي موقفاً في هذا الربط، حيث أصبح كتاب "التاريخ العسكري" من أهم المراجع عن تاريخ اليمن الحديث .

في الختام، أود الإشارة إلى الأزمة الفكرية التي عاشها سلطان ناجي في السنوات الأخيرة من عمره، فمحاولة العيش بمنطق التاريخ، ومحاولة الرؤية بعيوني المؤرخ، و التعامل مع الحياة السياسية و الفكرية بضمير المؤرخ، كل هذه عوامل دفعت به إلى الأزمة، ذلك أنه رأى إن الأمور تسير بصورة مخالفة لمنطق التاريخ، و بعد إنفجار أحداث 13 يناير تأكد له أن التاريخ اليمني يجب أن يصنع في اليمن، وإن المصائر التاريخية للشعوب لا يمكن أن تستورد مثل الملابس الجاهزة تماماً، كما أن التاريخ اليمني يجب أن يكتبه أبناءه . و لأن غبار القتال غطى ص فله العقل، أحس سلطان ناجي بحاجة للعزلة و التأمل، هكذا قضى الأشهر الأخيرة من حياته يتأمل مسار الأحداث ، إلا أن الموت فاجأه قبل أن يخرج من صمته، فمات و في قلبه و في عقله أشياء كثيرة كان يهم بقولها أو كتابتها، و لا نعرف إن كانت قد وجدت أوراق أو كتابات خطتها في هذه الفترة !.

سؤال لأبناء المرحوم سلطان ناجي، لأن ظهور مثل هذه الكتابات ، إن وجدت، ستفتح أفقاً جديداً لإكتشاف تأملاته الأخيرة في التاريخ اليمني. هذا اليمني الذي حمله على ظهره طوال سنوات العمر في فترة حافلة بالهزات و الحوادث، و كان سلطان ناجي طوال حياته القصيرة يعيش في خضم تلك الأحداث، فهل ترك لنا كلمة قبل الوداع ؟!

بستان قوي المقام

جريدة سلطان ناجي العدد السادس ١٥٩٥/٢/١٣

سلطان ناجي بي :

الاستاذ سلطان ناجي

الذى انقلب كاهلي

شاعر علي

بالفضل الناجي عن تاريخ اليمن العظيم. بل على  
ال乾坤. لقد كان تاريخ الدين مدرس شهد العزة  
والعزم. وهو تاريخ ليس فقط وهذا مشهد فيه  
سلطان ناجي في مقدمته ذئبه زان تاريخ العصر في  
اليمن ( حيث يظهر )

وتحت شعبية ذئبي من شبابه هذا الطلاق  
وهي شعبية حلوة، بل يدانتها عذبة شابة  
لتحت سطور و حلوى يكتب لفن البليدة  
فأمة وإذقدام على دون من عده من العذابات  
سمحتها في الكائن لتنظم حكم العروبة والشمال  
العفارى العسلى وحيث هذا نظرنا تاريخ هذه العذابات  
وأليس ألم وآلام

وينادي شعبية ذئبي سلطان ناجي بالشجاعة  
الشهباء من المؤمن الذي يعبد أول شعب يجرع  
النسمة العطرية في اليمن. ينادي الإشارة إلى

تحلبات النور

استضالية

في الشهادة أو الإشارة إلى الإرادة الفطرية التي  
تشكلها سلطان ناجي في السنوات الأخيرة التي  
مررت. فمهما تولى العجز يتحقق التاريخ ومهما تولى  
العجزة بغيره العجز و الشفاعة معه السفالة  
السياسية والقدرة على تغيير الواقع فكل هذه عوامل  
تقع تحت رق الإرادة المذكورة وإن إن الأمور تسير  
بصورة مختلفة تتحقق التاريخ وبعد التفكير بعد  
١٣ يذكرنا ذلك أن تاريخ اليمن يجب أن يصنع

اللروح الكافي سلطان ناجي الشاعر يذكر ذلك في  
الفصل: صفت العظام. حيث الشهادة الشاربة  
قبل أن يدخل في صمت أبي الدين عزوه سلطان  
سلفي يسكنطرون إن يذكر و إن هي شفاعة

فهذه هي من أوائل الخطبة الدبرية التي نعمها  
الدرسة في المدحنة الأمريكية في بيروت. حيث  
درس سلطان ناجي الأدبيات والمصادرية هذه العلوم  
والحاجة للعزلة و التأمل، هكذا قضى الأشهر الأخيرة من حياته

وحيث دعى إلى عدن في أوائل الخمسينيات، أنشأ  
مع مجموعة من القراء الجنان، همرون مولدة  
السمور، مدارس، مسالين وذلك الاستهلاك في  
الحياة الثقافية، وبعد تأسيس الحراك الآباء  
والآباء، ولدى انشاء كلية التربية العليا في عدن  
كان من أوائل المستفيدين في هذه الكلية التي  
افتتحت بوابة لرياحها عن

من هنا انتشار سلطان ناجي في كل مكان، شهادة  
من ١٥٠، لا ينكح في ذلك فانتشاره التاريخي الذي  
يعطيه الأداء والشخصي يكتب سلسلة التاريخ -  
بعد تفاصيل من يكتب التاريخ هم الذين  
يعتزون بعلمائهم على الدوران و فوق الواقع  
فقط. وسط سلطان ناجي عالمه التاريخي والفكري في  
حضرته

بتاريخ عدن

ستاريخ العيون بمدحور و سعد في طائف  
و في مثل المدحور الأول جذبها ذكرها من شفاعة  
والشهادة الفطرية ذلك أنه قدم من ماري عصبة  
عن ينطلق شموسي التاريخ الحديث لهذه العصبة  
التي ينادي مع دلائل الأحداث البشرية التي يهدى  
وقد هدم سلطان ناجي هذه من العصبة والكتائب  
الإدارية العصبية و يهدم هذه هذه انسانها لائحة  
فائية عن عدن. محتاج إلى عذبة شفاعة مدعى بشفاعتها  
قد يذهب ذلك لأن سلطان ناجي ينادي شفاعة  
الصور على عدن فهذه إشارة طيبة وفي هذه من  
العصبة والكتائب. الآخر الذي يهدم هذه العصبة  
بعمارها الشهادية التي كان سلطان ناجي يضعها  
في مدينته العاصمة، بخطبة تاريخ عدن، لكن  
الوقت لم يستطعها التمسكها في كتاب واحد والكتل